نماذج من رحلات العلم لشيوخ جبل نفوسة (الدوافع والأهمية) حتى (القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي).

د. علي حامد الطيف – الأكاديمية الليبية للدراسات العليا
alialtaif7@gmail.com
0913086495

الملخص:

(يلخص موضوع نماذج من رحلات العلم لشيوخ جبل نفوسة (الدوافع والأهمية) حتى القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي، دراسة مختارة لعدد من رحلات العلم لشيوخ جبل نفوسة من حيث الدوافع والأهمية والتنوع الزمني، وأثارها في تطور الحياة الفكرية، وكان لشيوخ العلم في جبل نفوسة دوراً كبيراً في تصدير العطاء العلمي، بعد أن أمكن لهم تحقيق الأسبقية في ميدان العلم، مما أتاح لهم تنظيم رحلات عدة لمختلف الأقطار شرقاً وغرباً).

الكلمات الافتتاحية: (جبل نفوسة، جربه، قنطرار، شيوخ، أعلام، رحلات، مدن، قرى، الاباضية، تيمجار، تاهرت)

Research Summary:

(The topic of Examples of the Scholarly Journeys of the Sheikhs of Mount Nafusa (Motives and Importance) until the Eighth Century AH / Fourteenth Century AD summarizes a selected study of a number of the scholarly journeys of the Sheikhs of Mount Nafusa in terms of motives, importance, and temporal diversity, and their effects on the development of intellectual life. The sheikhs of knowledge had Nafusa Mountain played a major role in exporting scientific endeavors, after they were able to achieve primacy in the field of science, which allowed them to organize several trips to various countries, east and west**.**

Key words: (Nafusa Mountain, Djerba, Qantrar, Sheikhs, notables, trips, cities, villages, Ibadi, Timjar, Tahert).

المقدمة:

بانتشار الإسلام غداة وصول طلائع الفتح الإسلامي إلى مدينة شروس سنة **24**هـ/**641**م، والقرى التي حولها، أتيح لسكان الجبل في تلك الفترة التحمس لهذا الدين الجديد، وما أن جاء القرن الثاني حتى بدأ شيوخ وأعلام جبل نفوسة في تنظيم رحلاتهم العلمية، من أجل معرفة الدين الجديد والتعمق في مفاهيمه، وقد وجه أهالي نفوسة رحلاتهم من أجل النيل من المعارف الدينية في بلاد المشرق والمغرب الإسلامي، وأخص هنا شرقا المدينة والبصرة وغرباً بلاد الجريد وجربه وبلاد أريغ وتاهرت في المغرب الأوسط، ومنهم الشيخ محمد بن عبدا لحميد بن أمغطير الجناوني 160هـ/778م الذي كان له الدور الرئيس في نشر وتقديم المذهب الأباضي

في حيز طرابلس وجبل نفوسة، ومنهم الشيخ ليؤب بن سلام الأغرمياني الذي رحل إلى الحج في القرن 3هـ / 9م وغيرهم مما تظهرهم هذه الدراسة .

واخذت الرحلة العلمية لعلماء جبل نفوسة أنماط عدة من حيث الدوافع والأهمية، فالأول منها هو طلب العلم، والثاني هو نشر العقيدة الإسلامية، أما الأخير فهو الجمع بين الاثنين، حيث كانوا يلاحقون شيوخهم من أجل العلم وحل المسائل الدينية فيحصلون على إجازات علمية، وفي المقابل كانوا يجيزون من يدرس في حلقاتهم.

من خلال هذا التقديم نستطيع القول إن هذه الدراسة تعنى برحلات العلم لشيوخ جبل نفوسة، أي ما تحقق من خلالها في ميدان العلم ونشر الدين الإسلامي، كما تقدم الكثير من الانجازات التي تحققت من خلال الترحال والتنقل لهؤلاء الشيوخ خارج جبل نفوسة، إذ يحاول الباحث من خلال هذه الورقة تقديم الجديد وإظهار دور أهالي وشيوخ الجبل في نشر الدين الإسلامي.

وبهذا التقديم أيضا، يسعى الباحث إلى تقديم دراسة لنماذج من شيوخ جبل نفوسة الذين آثروا التنقل والهجرة والترحال من مكان إلى أخر، وأمكن لهم نشر العقيدة الإسلامية، وبعيداً عن المذهبية، فإن هؤلاء الشيوخ أسهموا في تبصير الكثير من المجتمعات بهذا الدين الجديد، وهذا ما يحاول الباحث أثباته في تقسيمات هذه الورقة العلمية، إكمالاً لبحثنا المقدم لمجلة كلية الآداب بجامعة الزاوية، والذي يحمل عنوان الانتقال والهجرة لعلماء الأباضية بين جبل نفوسة وبلاد الجريد وورجلان حتى نهاية القرن الخامس الهجري، إذ يهدف هذا البحث إلى دراسة نشاط مجموعة من شيوخ علماء جبل نفوسة داخل الامتداد ألمغاربي وخارجه، ولكن هذه المرة من حيث الدوافع و الأهمية، وقد رعيت فيه تنوع الفترة الزمنية، لتمتد حتى القرن الثامن الهجري، وإضافة لما أوردناه، فإن أحد الأسباب الرئيسة التي دفعتني لدراسة هذا الموضوع هو أن شيوخ جبل نفوسة كانت لهم إسهامات دينية وعلمية في مراكز جربه وإفريقية وغيرها من المجالات المجاورة تستحق البحث، وفي هذه الدراسة لا يقتصر الأمر على شيوخ قبيلة نفوسة دون غيرها، المهم أنه من شيوخ الجبل، كذلك ضمت الدراسة شيوخ من مجالات مجاورة لكن أصولهم على المدى القريب، كانت من جبل نفوسة، مثل الشيخ علي بن يخلف التيمجاري النفوسي الذي عرف بالدرجيني .

إن المتفحص لمسألة رحلات العلم لشيوخ جبل نفوسة، يجد أنها تزخر بالكثير من الشواهد، إذ يهدف هذا البحث إلى فهم واسع للحياة الدينية ومعرفة الدور المشترك مع المجالات الأخرى الواصلين إليها، فمن خلال تقديم هذه الدراسة نستطيع أن نعطي تفسيراً لعدد من التساؤلات التي ترافقنا، منها: ما هي الأسباب التي دفعت شيوخ العلم إلى تلك الرحلات؟، وهل كان العلم السبب الرئيس في ذلك الانتقال؟، وما هي أهمية تلك الرحلات للمجتمع المغاربي؟، وما هي الصعوبات التي اعترت تحقيق الرحلات العلمية لأهدافها؟، كل هذه التساؤلات

تطرح إشكالاً ينبغي معالجته في هذه الدراسة لتقديم دراسة مثالية حول تنقلات شيوخ العلم النفوسيين .

نحصر حديثنا في هذا الموضوع على عددٍ محدودٍ من الشيوخ، رأينا فيه تنوعاً للوجهات والأزمنة التاريخية والانشغالات المرافقة، وبذلك قصرنا حديثنا حول محمد بن عبد الحميد بن أمغطير النفوسي الجناوني،(القرن الثاني الهجري)، عمر بن يمكثن (القرن الثاني الهجري)، سعد بن وسيم أبي يونس بن نصر النفوسي الطمزيني (أبو محمد)، (القرن الثالث الهجري)، فرج بن نصر نفاث، (القرن الثالث الهجري)، محمد بن يأنس الدر كلي النفوسي (أبو عبيدة)، (القرن الثالث الهجري)، أيوب بن العباس، (القرن الثالث الهجري)، لوّب بن سلام، (القرن الثالث الهجري)، علي بن يخلف التيمجاري، (القرن السادس الهجري)، أبو الطاهر إسماعيل بن موسى الجيطالي (القرن السابع والثامن الهجريين)1 .

1 – محمد بن عبد الحميد بن امغطير الجناوني النفوسي:

يرتبط هذا العلامة ببدايات تاريخ الحركة العلمية بجبل نفوسة، العقد الأول من القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي، وبقدوم سلمه بن سعد الحضرمي2، إلى بلاد المغرب داعياً سكانه إلى الأخذ بالمذهب الأباضي، وهذا الأخير كان قد أرسل ابن أمغطير إلى أبي عبيدة مسلم بن كريمة في البصرة للأخذ بالمذهب الأباضي، وبعودته ابن أمغطير عمل بالفتوى ، غير أن الكتابات الأباضية تسند جمع القرآن الكريم كله في الجبل حسب ما ورد عند لوّب بن سلام، إلى عمر بن يمكثن، ومن بعده وصول البعثة العلمية حملة العلم الخمس3، الذين أوفدوا من طرف ابن سعد، وبهم انتشر التعليم في بلاد المغرب عامة وجبل نفوسة خاصة، وأفرز الرعيل الأول من الشيوخ مثل أبي خليل الدر كلي، ومحمد بن يأنس، وعمر بن يمكثن، الذي يعود له الفضل في تأسيس المدرسة الأولى في جبل نفوسة، وتنظيم الحلقة في الدرس في قرية يفطمان بالجبل .

---

1 – وردت تراجم هؤلاء الشيوخ العلماء الأجلاء في عديد المؤلفات الأباضية (البغطوري، سير مشايخ جبل نفوسة – أبي زكريا يحيى بن أبي بكر، سير الأئمة وأخبارهم – أحمد أبو القاسم الشماخي، السير – الوسياني أبو الربيع، سير أبي الربيع – سليمان عبدالله الباروني، الأزهار الرياضية – مجهول، قصور وطرق جبل نفوسة)

2 – سلمة بن سعد الحضرمي أول شخصية تذكرها المصادر للدعوة في شمال أفريقيا سنة 95هـ/713م، وقد استقر في جبل نفوسة بمنطقة طرابلس، وكان شديد الحماس للدعوة للمذهب الإباضي حتى يروى عنه إنه قال: " وددت أن يظهر هذا الأمر بأرض المغرب يوماً واحداً من غدوة إلى الزوال" – سليمان الباروني، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، (لندن: دار الحكمة، ط1، 2005)، ص 41.

3 –حملة العلم الخمس هم: " أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري، عبد الرحمن بن رستم الفارسي، عاصم السدراتي،إسماعيل بن درار الغدامسي، أبو داوود النفزاوي "، ينظر أبي زكريا يحيى بن أبي بكر، كتاب سير الأئمة وأخبارهم، (الجزائر: المكتبة الوطنية، 1979) ، ص 35.

لهذا يمكن القول إن عمر بن يمكثن اللواتي يعد أول من تعلم ونظم الحلقة في جبل نفوسة4، لكن الكتابات الأباضية أغفلت جانب التعليم عنده لسبب مهم يراه الباحث، وهو أنه تعلم في الطريق الساحلي للقوافل المارة من مغمداس5، وبذلك يكون تعليمه في البداية خالي من طريقة المذهب الأباضي، غير أنه سرعان ما تتلمذ علي يد شيوخ حملة العلم الخمس، وهذا ما نجده في تراجمه.

والشيخ محمد بن عبد الحميد بن أمغطير الجناوني يعد أول من نظم رحلة علمية بين جبل نفوسة إلى مدينة البصرة، تنفيذا واستجابة لنداء الداعية سلمه بن سعد في العقد الأول من القرن الثاني الهجري، دافعه في ذلك تحصيل العلم على يد الشيخ أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، فدرس عليه الفقه وغيره من العلوم، وبعد أن أنهى تعليمه في البصرة قفل راجعاً إلى جبل نفوسة وجلس للفتوى.

وبذلك يمكن القول إن أهمية تلك الرحلة تكمن في كونها أول رحلة علمية من جبل نفوسة إلى مدينة البصرة في المشرق الإسلامي، إضافة لذلك تعد الأولى من نوعها لحمل طريقة المذهب الأباضي إلى جبل نفوسة وبلاد المغرب ككل، وبفضلها انتشرت الفتوى في المسائل الدينية في جبل نفوسة، ولهذا نجد الشيخ الإمام عبد الوهاب بن رستم يدفع به وقربه في حل الكثير من المسائل الدينية والخصومات، وأظهر الشيخ ابن أمغطير صرامة في الحكم والفتوى تناقلتها الكتابات الأباضية6 .

2 – لوّب بن سلام الاغريميماني النفوسي:

من علماء القرن الثاني للهجرة أصله من أغر ميمان7، بجبل نفوسة، نشأ في محيط عائلي علم وحكمة، شهد عمه وأخو جده موقعة مغمداس مع الإمام أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح سنة 142هـ، أوتي الحكمة على صغر سنه، وتلقى العلم عن أبي كبة من أهل تنكيص وجمع أخباره من الشيخ أبي صالح النفوسي، وكان شيخاً إماماً عالماً بالأصول والفروع8، وكان له عناية بعلم الكلام وله كتاب يحمل عنوان (بدء الإسلام وشرائع الدين)

4 – مسعود مزهودي، جبل نفوسة منم انتشار الإسلام حتى هجرة بني هلال إلى بلاد المغرب، (مؤسسة تأولت، ط1، 2005)، ص 212.

5 – مغمداس موضع على مسيرة ثمانية أيام من طرابلس – أبي زكريا، كتاب سير الأئمة، ص51.

6 – ينظر محمود كوردي، الحياة العلمية في جبل نفوسة، (بنغازي: دار الكتب الوطنية، ط1، 2008)، ص 116.

7 – أغرميمان: قرية قبالة أبديلان بمدخل وادي تالة (أم القرب) بالرحيبات. أغرم أينان: والصحيح أغرم ايمان وتعني بالأمازيغية قصر النفس أو الروح، وعلى حسب لفينسكي فهي قبالة خربة بديلان في بداية وادي تالة بالرحيبات، ويذكر أيضاً أنها الاسم الأول لخربة البراهمة بالرجبان – والموضعان مبتعدان، والباحث يرجح الموضع الأول، وذلك أن الشماخي ذكرها ضمن تسلسل قرى الرحيبات. لفينسكي، تسمية جبل نفوسة وقراهم، ترجمة عبدالله زارو، (مؤسسة تأولت الثقافية، ط 2) 2013)، ص.103.

8 – محمد بن موسى بابا عمي وآخرون، معجم أعلام الإباضية ج2، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط2، 2000)، ص 350.

وتعود أهميته إلى كونه من المؤلفات القلائل التي كتبت في الحقبة الأولى من وصول المد الإسلامي إلى بلاد المغرب، وهذا ما علق عليه تاديوس ليفنسكي بأنه من أقدم كتب السير في شمال إفريقيا، ولابن سلام رسائل مع خلف بن السمح الذي التقى به في جندوبة سنة **271**هـ /**884**م9 .

رحل إلى الحج والتقى بعدد من العلماء من عمان وجمعاً من الحجاج ودافعه الرئيس في هذه الرحلة هو الحج والوصول إلى الأماكن المقدسة، غير أن من نقل عنه لم يحدد تاريخ هذه الرحلة، والتي يبدو أنها تمت في سنوات العقد الرابع من القرن الثاني الهجري، أهميتها فإنها إضافة إلى تأدية مناسك الحج في ذلك التاريخ المتقدم، فإنها مكنته من اللقاء مع عدد من شيوخ المذهب ولفيف من الحجيج، آنذاك من عمان، وكانت لها أثراً في تكوينه العلمي**10** .

3 – **عمر بن يمكثن لفطماني النفوسي (تـ 144هـ / 761م):**

أمه دمرا الحمدانية بنت درجو من قرية يفطمان، عينه الإمام أبو الخطاب الأعلى بن السمح المعا فري والياً على سرت وشارك معه في معاركه في مغمداس **142**هـ، وتاورغا **144**هـ، التي شهدت استشهاده11، وهو من أعلام جبل نفوسة الذين كان لهم الفضل في نشر الإسلام وإقامة أول مدرسة في جبل نفوسة في مدينة يفطمان، وتنظيم نظام حلق الدرس، قال فيه أبو العباس: " ساد أهل زمانه من علماء المسلمين، وسارع إلى الخبرات قولاً وفعلاً، قال أبن سلام: كان عالماً من علماء المسلمين"12، تنقل عمر بن يمكثن بين الجبل والسهل، راودته منذ صغره أمنية حفظ القران الكريم وكانت حافزاً في رحلته إلى مغمداس، واستقر على طريق القوافل المارة شرقاً وغرباً، يحمل ألواحه منذ الصباح الباكر ليعترض السابلة، يتلقى منهم آيات من كتاب الله حتى إذا امتلاء لوحه عاد إلى البيت ليستظهرها ويحفظها، ثم يعود إلى الطريق، ولم يمض وقت حتى حفظ كتاب الله، وكثيراً من سنة رسوله، وبعد أن أطمئنت نفسه عاد إلى قريته يفطمان13 .

من خلال هذا العرض تظهر لنا أن دوافع رحلة عمر بن يمكثن، كانت من أجل العلم وحفظ كتاب الله، وقد استطاع هذا العالم أن يغترف من ركابان الحج ويحفظ كتاب الله عن ظهر قلب والكثير من عقائد السنة النبوية، وتعود أهمية هذه الرحلة إلى أن الشيخ عمر بن يمكثن يعد من الأوائل الذين أدخلوا التدريس ونظام حلقة الدرس

9 – الجعبيري فرحات، علاقة عمان بشمال إفريقيا، (سلطنة عمان: المط العالمية، ن.ط، 1991)، ص 9.

10 – محمود كوردي، الحياة العلمية في جبل نفوسة، ص 118.

11 – معجم أعلام الأباضية ج2، ص 314.

12 – علي يحيى معمر، الأباضية في موكب التاريخ، (سلطنة عمان: مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، ط3،2008) ص 157.

13 – المرجع نفسه، ص 157–158.

في جبل نفوسة، وإليه الفضل في تحفيظ القران الكريم، إضافة إلى ذلك فإنه عُين عاملاً على سرت من طرف الأمير أبي الخطاب بن السمح، عارفاً ومطلعاً على مسالك سرت ونواحيها14، وبذلك كانت رحلته الثانية هذه المرة هي أنه شيخ علم ليحكم بما جاء في كتاب الله وبكونه عاملاً للإمارة .

وعمل الشيخ عمر بن يمكثن على نشر العدل وإقامة أحكام الله، والاستعداد لمحاربة الجيوش الغازية، ولكن القدر لم يمهله كثيراً فقتل في معركة مع جيش محمد بن الأشعث المكلف من الخليفة أبو جعفر المنصور في سنة **144**هـ / **761** م15 .

4 – سعد بن يونس بن وسيم بن نصر النفوسي (أبو محمد) القرن الثالث الهجري:

ترجمته هو شيخ عالم من أعلام نفوسة، نشأ بويغو مع أخيه الأصغر أبان بن وسيم، تلقى مبادئ العلوم بويغو ثم بقنطرار بعد هجرة عائلته إليها، حيث كان والده والياً للإمام عبد الوهاب الرستمي بها، **(171–208**هـ / **823–871**م)، وبلغ مبلغاً عظيماً من العلم والفضل، صحبة زميله في الدراسة نفاث بن نصر، ولما أظهر كفاءة في العلم وتحمل المسؤولية عينه الإمام والياً على قنطرار بعد وفاة أبيه وسيم16 .

وتفصيلاً لذلك فقد كانت رحلته إلى تاهرت، تجمع بين نوايا السلطة والعلم، إذ دفع به والده صحبة زميله فرج بن نصر الملقب بنفاث في مطلع القرن الثاني للهجرة لشد الرحال إلى مركز السلطة تاهرت، والدراسة على يد الإمامين اللذين كانا على رأس هرم السلطة في الدولة الرستمية، الإمام عبد الوهاب ومن بعده أبنه أفلح، ما يفسر أن دوافع تلك الرحلة في تقديرنا على الأقل في تفكير والده يونس بن وسيم هو تقرب أبنه من الإمام ومعرفته به، خاصة أن والده أبو يؤنس بن وسيم والياً على قنطرار، أما الدافع الثاني فهو تحصيل أكبر قدر من الدروس الدينية، هذا ما حدث بالفعل؛ فبعد وفاة الأب في قنطرار في غياب أبنه في تاهرت، نظر الإمام أفلح إلى سعد وزميله فرأى تفوق سعد على نفاث في الساسة ورجاحة العقل، على فرج بن نصر وخصه بالولاية،

14 – المرجع نفسه، ص 158.

15 – يقدم أبن الأثير تفصيلاً عن تلك ، ويذكر أن أبن الأشعث لجأ إلى خطة لكي يقضي بها على جيش أبي الخطاب عندما تحين الفرصة المناسبة، فضبط أفواه السكك، حتى انقطع خبره عن أبي الخطاب، فعاد هذا الأخير إلى طرابلس، ولكن عندما علم أبو الخطاب بعودة أبن الأشعث إلى سرت خرج إليه حتى وصل ورداسة، ولما قرب منه أوحى أبن الأشعث لأصحابه أن خبراً أتاه من الخليفة المنصور بالعودة إلى المشرق، الأمر الذي جعل أصحاب أبن الخطاب يتفرقون عنه لانشغالاتهم، فهاجمه أبن الأشعث في لبدة صفر 144هـ /761م، وانتهت بهزيمة أبي الخطاب بن السمح – ينظر أبن الأثير، الكامل في التاريخ ج4، (بيروت: دار الكتاب العربي، د.و.ن)، ص 281 .

16 – محمد بن موسى بابا عمي وآخرون، معجم أعلام الإباضية ج2، ص 170–171.

وبذلك تحقق دافع السلطة17 .

أما عن أهمية الرحلة فيمكن القول إنها حققت الدوافع التي أتت من أجلها وهي وصول سعد بن يونس للسلطة كوالي لقنطرار وأخذه أكبر قدر من العلم، إضافة إلى أن تلك الرحلة صحبة زميله نفاث أحدثت شرخاً وافتراقاً عرف بالافتراق الثالث عند مؤرخي الأباضية، ألا وهو عدم رضاء فرج بن نصر بإعطاء ولاية قنطرار إلى سعد بن يونس، وأظهر معارضة وصلت إلى درجة الانشقاق والرفض، مما دفع بالإمام أفلح بمراسلة الولاة بحق نفات بالعودة عن معارضته وطعنه في السلطة18، وبعيداً عما تم من أحداث نتيجة معارضة نفات للسلطة نجد أن الرحلة قد حققت دوافعها وأهدافها كما أسلفنا القول، بل ترتبت عليها أحداث قد تكون مؤلمة في تاريخ الدولة الرستمية، وظلت أفكاره من الطعن في المذهب والانشقاق تحت مظلة (الفرقة النفاتية)،قرونا من الزمن19 .

5 – فرج بن نصر نفاث النفوسي (القرن الثالث الهجري):

ترجمته من علماء الدولة الرستمية بتا هرت، فيها أخذ العلم عن الإمام أفلح بن عبد الوهاب يشهد له بالذكاء والفهم، فبلغ من العلم درجة عالية انشق عن الإمامة في عهد الإمام أفلح، وتبنى أراء معارضة للإمام، توجه إلى المشرق فلقي الخليفة العباسي ببغداد وحقق مأرب رحلته تلك20،

من الترجمة يتضح أن فرج بن نصر نفاث قام برحلتين واحدة في اتجاه الغرب، جمعته بالإمامة والقصر صحبة زميله سعد بن يونس، والثانية شده للرحال إلى بلاد المشرق الإسلامي، والوصول إلى بغداد عاصمة السلطة في العهد العباسي، وكان هذا في العقود الأولى من القرن الثالث الهجري، دون تحديد دقيق لتاريخ تلك الرحلتين.

أما عن الدوافع فهي تجمع بين أمرين الأمر الأول وهو نيل أكبر قدر من العلم، إلى درجة الوصول إلى النقد في المسائل الدينية، أما الأمر الثاني فيمكن القول إنه حاول أن يوظف أفكاره واجتهاداته في تحقيق مكاسب سياسية ترتبط بمعارضة السلطة، وهذا ما أحدث شرخاً وافتراقاً مع السلطة.

بعد هذه التقديم يمكن لنا تقديم وصف للرحلتين، ففي رحلته الأولى إلى الإمامين عبد الوهاب الرستمي وأبنه أفلح من بعده، صحبة زميله سعد بن يونس، والتي كانت في تقديري قد تمت أثناء عودة الإمام عبد الوهاب

17 – للاطلاع على تفاصيل كيفية تولي سعد بن يونس الولاية في قنطرار خلفاً لأبوه، وطعن فرج بن نصر نفات في كتاب الإمام في ذلك – ينظر أبي زكريا يحيى، كتاب سير الأئمة، ص 92.

18 – المصدر نفسه، ص 93.

19 – المصدر نفسه، ص 100 وما بعدها.

20 – محمد بن موسى بابا عمي وآخرون، معجم أعلام الأباضية ج2، ص338.

من جبل نفوسة نهاية العقد الأول من القرن الثالث الهجري، وكان الدافع الأول لفرج نصر نفاث هو نيل أكبر قدر من العلم والعلوم، أما عن فترة بقائهما في تاهرت ،فهذا لم تتعرض إليه المصادر، المهم أن عودتهما إلى بلدهما تمت في عهد الإمام أفلح، ونهاية الرحلة لم تكن عفوية بقدر ما كانت نتيجة لوفاة أبو الشيخ سعد بن يونس وشغر الولاية في قنطرار.

وتتفق الكتب الأباضية أن نفاث كان متفوقاً على سعد بن يونس في مختلف العلوم وأكثر ذكاء وفطنة، وفي المقابل أن سعداً كان أكثر حكمة واعتدالاً، وهذه الصفة التي تجلت في ابن والي قنطرار المتوفى أبو يونس وسيم النفوسي دفعت الإمام أفلح تقليد سعد بن يونس الولاية في قنطرار، ما أشعل نار البغض والكراهية في نفس نفاث21، وعند وصوله إلى الجبل أظهر الطعن في الإمام متهماً إياه بأنه أضاع أمور المسلمين، وبعيدا عن تفاصيل هذه المعارضة، فإن الإمام بعث في حقه عدد من الرسائل إلى عدد من الولاة في بلاد الجريد (توزر وما حولها) وجبل نفوسة، غير أن نفاث لم يكف عن معارضة الإمام، واجتهد في عددٍ من المسائل النقدية للمذهب الأباضي، وألف كتاباً يشرح فيه أفكاره الأمر الذي دفع بزميله سعد بن يونس في رحلته إلى تاهرت أن يذهب في أثره إلى الجبل، لتهدئته، وعاود الإمام إرسال الرسائل في حقه، إلى أن وصل الأمر، أن علماء المذهب تصدوا إلى أفكاره، ' حتى أن رسالة الإمام أفلح الأخيرة تضمنت تهديداً لنفاث إن لم يكف عن أفعاله بقوله: " كتبت إليك غير كتاب انصح لك فيه وادعوك إلى رشدك.... إنا أمرنا في كتابنا بالبراءة منك، فإن كنت كما كتب به إلينا عمالنا فأنت محقوق بالبراءة ومقص من جماعتنا ..."22 .

وعندما استنفد جميع محاولاته وأدرك براءة الإمام منه جمع ما عنده من أموال ورحل، فتجاوز ركبه سرت ووصل إلى بغداد في تاريخ لم تحدده المصادر، ولكن أغلب الظن أنه في أوائل العقد الرابع من القرن الثالث الهجري، وبوصوله إلى مدينة بغداد أقام عند أحد أصدقائه ربما يكون نفوسياً مقيم هناك، وذات يوم سمع المنادي يبحث عن شخص يحل مسألة دينية للخليفة المتوكل على الأرجح**23**، فدفع بنفسه إلى حلها، وفي لقائه داخل مجلس الخليفة أظهر فطنة في حل المسائل أمام الخليفة ومجلسه، فعلى الرغم من أنه كان على هيئة بسيطة، ولم يحسن الحديث باللغة العربية، فإنه اعتذر من ذلك أمام الخليفة مما دفع هذا الأخير إلى

21 – أبي زكريا يحيى، كتاب سير الأئمة، ص 92.

22 – أحمد الدرجيني، طبقات المشايخ بالمغرب، تحقيق إبراهيم طلاي (قسنطينة: مطبعة البعث، د.ت)، ص 261–262

23 – صالح مصطفى مفتاح، ليبيا منذ الفتح العربي حتى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر، (بنغازي: منشورات جامعة قار يونس، ط2، 1994)، ص 115.

القول: " نعم العسل في ظرف سوء"24، فرد عليه نفاث نعم الرجل في مكان سوء فستشاط الخليفة غضباً غير أنه أمر بتنفيذ أي طلب يطلبه، فطلب ديوان جابر بن زيد الذي يقصده، وهو الكتاب الأول للمذهب الاباضي، فلبى له طلبه بشرط أن يقتنيه يوماً واحداً فقط .

إذ كان نفاث على درجة من الفطنة فاختار لذلك أطول يوم من أيام السنة واستأجر عدد من الخطاطين ودفع لهم المال اللازم وضاعف الثمن للذين يكتبون ليلاً وبذلك استطاع نسخ الديوان في الزمن المحدد، إلا جزءاً واحداً فطلب من الخليفة تصفحه فحفظه على ظهر قلب، غير أن العلماء تحالفوا ضده وأوعزوا للخليفة بمكائد نحوه، وأكثروا من مطالبته بحل المسائل الدينية حتى يُخلع الديوان منه، الأمر الذي دفعه بالهروب من بغداد حاملاً ديوان جابر بن زيد إلى بلاد المغرب وبرحلته إلى وطنه تقطع المصادر الحديث عنه ولا ندري ما هو مصير الديوان، غير أن من الكتابات الأباضية التي تذكر إنه أخفاه في حيز طرابلس لغاية في نفسه25 .

ويتحدث أبي زكريا أيضا بأن نفاث هو أول من استخدم التجربة في الفتوى وحل المسائل الفقهية، حيث جاءت إليه أمرآة ومعها بيضة، وقعت في ماء نجس، فسألته هل البيضة نجسة أم لا؟، فلم يرد عليها وأخذ البيضة ودخل إلى خلوته ووضع البيضة في ماء به صبغ وطبخه ثم أخرجها وأتى بها وبعد تقشيرها اتضح أن الصبغ دخل إليها، فأفتى بنجاستها26 .

بعد هذا التقديم للعالم فرج بن نصر نفاث نجد أن دوافع رحلته الأولى تهدف إلى العلم والوصول للسلطة، الأمر الذي لم يتحقق له، كما أن معارضة الإمام أفلح عبد الوهاب لأفكاره العقائدية، ترتب عليها توجيه عدد من الرسائل بحقه من طرف الإمام دفعته إلى الخروج من الجبل، وبداية رحلته الثانية إلى مركز السلطة العباسية في بغداد، وكان دافعه الرئيس في ذلك هروبه من المجال الرستمي ومقابلة علماء المشرق، ثم نسخه لديوان الأباضية جابر بن زيد وهذا ما تحقق له في رحلته وصبغت عليها جانب كبير من الأهمية، خاصة أنه ذا فطنة وذكاء، ونشير إلى أن معارضة نفاث لأراء وأفكار الأباضية دفعت بعض الشيوخ إلى نبذه، وظلت أفكاره النفاثية تعيش قروناً عدة .

6 – الشيخ محمد بن يأنس الدر كلي النفوسي (أبو عبيدة):

ترجمته من أعلام القرن الثالث الهجري بجبل نفوسة، أخذ العلم عن عاصم السدراتي، ورحل مرات عدة إلى الشيخ إسماعيل بن درار الغدامسي يغترف من علمه، مارس التجارة لفترة، وقال عليه الشيخ علي يحيى

24 – أبي زكريا يحيى، كتاب سير الأئمة، ص 99

25 – المصدر نفسه، ص 95–96.

26 – المصدر نفسه، ص 93.

معمر:" ....المجاهد لنفسه المطيع لربه دو المناقب الشهيرة والمآثر الكريمة27، من تلاميذه، أبو خليل صال الدر كلي وأخوه عمرو بن يأنس ورشحته نفوسة لمواجهة الواصلية28 المعتزلة بتاهرت29، ينسب الشيخ محمد بن يأنس إلى قرية دركل في أميناج30 في جبل نفوسة، و أخذ العلم على يد اثنين من شيوخ حملة العلم الخمس، هما الشيخ عاصم السدراتي وإسماعيل بن درار الغدامسي في القرن الثاني الهجري، وهذا يجعلنا نضعه من الرعيل الأول لمتعلمي جبل نفوسة، ويعود له الفضل في إنشائه مدرسة في حصن الجزيرة31، التي استمر دورها في تدريس القران والسنة، إلى القرن الحادي عشر الهجري، وفتحت لها فروعاً عدة في مختلف مدن جبل نفوسة، والشيخ محمد بن يأنس الدركلي كان من أكثر شيوخ الجبل عناية بالتدريس، محبا لعلم التفسير إلى جانب عدداً من العلوم الأخرى32 .

ويعد الشيخ محمد بن يأنس من أكثر الذين حرصوا على بناء المساجد وتعميرها، ففي زمنه كان أغلب الشيوخ يتخذون أماكن للصلاة خاصة بهم يتعبدون فيها، إضافة إلى إقامتهم للمساجد، فهذا الشيخ محمد بن يأنس كان له سبع مساجد بعضها في الجبل والبعض الأخر في المروج (السهل)، يتنقل فيما بينها للصلاة، وتجدر الإشارة من وجهة نظر الباحث إن إقامة شيوخ نفوسة للمصالى والمساجد في أماكن متعددة، جاء نتيجة لاشتغالهم بالدنيا وبعيدا عن الضوضا، ففي أماكن عملهم في الزراعة والرعي عملوا على إقامتها حتى يتمكنوا من تأدية صلواتهم ونسكهم .

بهذه المقدمة التي ألحقناها بالترجمة تبين لنا أن الشيخ محمد بن يأنس كان من أكثر الشيوخ عناية بتعاليم الدين، وله من الجهود العلمية التي دفعت إمام نفوسة إلى ترشيحه لمدد جبل نفوسة للإمام الرستمي، ففي عهد

---

27 – علي يحيى معمر، الأباضية في موكب التاريخ، ص292.

28 – الواصلية: فرقة من الفرق المعتزلة نسبة إلى واصل بن عطاء (ت 131هـ / 778l)، يلتقون مع الأباضية في الكثير من المسائل الكلامية، ولا يعرف تاريخ قدوم دعاة هذه الفرقة إلى بلاد المغرب، حيث وصلت وسكنت تاهرت وبلغ عددها ثلاثين ألف قطنوا الخيام، غير أن من المؤكد إن ذلك كان تم في زمن واصل بن عطاء، القرن الثاني الهجري ...انتشرت أفكار واصل في شمال تاهرت وفي جنوبها في موقع يعرف تيلغمت .– ينظر أبي عبيدة البكري، المغرب في ذكر إفريقية والمغرب (القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، د.ط..ن)، ص –88 87 – مسعود مزهودي، جبل نفوسة من انتشار الإسلام حتى هجرة بني هلال، ص 103–104 .

29 – محمد بن موسى بابا عمي وآخرون، معجم أعلام الإباضية ج2، ص 395–396.

30 – ورد هذا المصطلح في أغلب المؤلفات الأباضية ويقصد به الجزء الغربي من جبل نفوسة المحيط بشروس، وبعني بالأمازيغية الفوقي أو الأعلى – راجع كتابات السير الأئمة وأخبارهم لأبي زكريا، السير لأحمد الشماخي وغيرهم.

31 – الجزيرة: قرية من قرى جبل نفوسة تشرف على وادي شروس من جهة الشرق، سميت بالجزيرة لوقوعها فوق جبل تحيط به الأخاديد، دركل من جهة الشمال، ووادي أيندال من الجنوب الشرقي، بالقرب من (قرية أم صفار بمنطقة الحرابة).

32 – أحمد مختار عمر، النشاط الثقافي في ليبيا، (طرابلس: منشورات الجامعة الليبية، ط1، 1971)، ص 116.

الإمام عبد الوهاب الرستمي (**171-213هـ/787-826م**)، خرجت الواصلية عن طاعة الإمام في تاهرت واتبعت في ذلك أسلوبي المناظرة والحرب، ويعلل المؤرخين أن السبب الرئيس لذلك الخروج يعود إلى أن الأدارسة في بلاد المغرب الأقصى لهم اليد في تحريك وأصلية تاهرت، الذين كان يقودهم إدريس الأكبر إلى التوسع في مناطق تلمسان وما حولها .

وبعيداً عن تفاصيل ذلك التوسع **173هـ/789م**، يقدم لنا ابن خلدون نصاً يكشف فيه حقيقة الصراع في المغرب الأوسط مع الرستميين بقوله: " لم يزل الملك في بني رستم هؤلاء بتاهرت وحاربهم جيرانهم من مغراوة وبني يفرن على الدخول في طاعة الأدارسة ...."33، وفي ظل هذه التطورات بين الواصلية والدولة الرستمية، ما دفع الإمام الرستمي بطلب النجدة من نفوسة، وكان محمد بن يأنس من الذين تم اختيارهم من طرف إمام نفوسة لأداء هذه المهمة.

فهذه الرحلة أو الانتقال من جبل نفوسة إلى تاهرت العاصمة الرستمية كان بدافع الوقوف سوياً ضد الواصلية، أي أنه عملاً مشتركاً بين نفوسة ومركز السلطة (الإمامة) بهدف إجهاض هذه الحركة سواء كان ذلك في جانب المناظرة أو الحرب، وهذا ما حدث بالفعل، أما عن تفصيلات تلك الرحلة، فأننا عرفنا من خلال حديثنا عن حقيقة ذلك الصراع فهو يعود بالدرجة الأولى إلى كونه صراع بين فرق مذهبية تقف على رأسها إمارة الأدرسة في الغرب والإمامة الرستمية إلى الشرق.

وعندما أحست الإمامة بتاهرت بالخطر طلبت المدد من جبل نفوسة، وكان هذا الأخير تحت إمامة أبو اليقظان34 (**261-281هـ / 874-894م**)، وهذا أمر طبيعي وخاصة الإمام عبد الوهاب القائل: " .... إن هذا الدين قام بسيوف نفوسة وأموال مزاته"35، فطلب من نفوسة مدداً يقدر بأربعمائة رجل ويقال أربعة آلاف، وتباينت أراء مؤرخي الأباضية حول العدد وتفاصيله36، فهذا علي يحيى معمر يذكر إن الإمام طلب من والي نفوسة ثلاثمائة من الفقهاء والمفسرين وعلماء الكلام، وأمام هذا التباين عند قادة جبل نفوسة وأئمتها استقر رأيهم على إرسال أربعة أنفار يتولوا مهمة طلبات الإمامة في تاهرت، وهذا يعود إلى اقتناعهم بهؤلاء الأربعة بتلبية طلبات الإمام بتاهرت، فكان قرارهم بالإجماع على الشيخ مهدي الو يغوي وأيوب بن العباس والشيخ محمد بن

33 – عبد الرحمن بن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر مج6، ، (بيروت: دار الكتب العلمية ط1، 1992)، ص 144 .

34 – أبو اليقظان: هو الإمام محمد بن أفلح بن عبد الوهاب عبد الرحمن بن رستم، حكم من 261-281هـ / 874-894م)، خامس الأئمة الرستمين ولد بتا هرت، تلقى العلم لأبيه أفلح وجده عبد الوهاب، كانت له حلقات علم، وتخرج على يديه عدد من المشايخ، من مؤلفاته رسالة في خلق القران الكريم، وكتب في الرد على المخالفين. محمد بن موسى بابا عمي وآخرون، معجم أعلام الأباضية ج2، ص 359-

35 – أحمد الشماخي، السير، ص 194. – سليمان الباروني، الأزهار الرياضية، ص 169.

36 – ينظر البغطوري، سيرة مشايخ جبل نفوسة، ص 39. – الشماخي، السير ص 154.

يأنس، أبو الحسن الأبدلاني، وفصلت الكتابات الأباضية مهمة كل واحداً منهم، الو يغوي يختص بعلم الكلام والعباس فهو الفارس الشجاع الذي لا يهزم37 وأبن يأنس بالتفسير، والأبدالاني بالفقه .

وبهدأ بدأت رحلة الشيخ محمد بن يأنس من جبل نفوسة إلى تاهرت، وقد كان أبن يأنس طوال الرحلة يقوم بخدمة رفاقه الثلاثة ليلاً ونهاراً، ويقضي بعض أوقاته في إقامة الصلاة، ولم تذكر الكتابات أي جيش رافقه نحو تاهرت، وعند وصولهم أخبر الإمام عبد الوهاب بذلك فساءه الأمر، لأنه كان ينتظر قدوم جيش من نفوسة وطلب إدخالهم عليه فقال له المهدي الويغوي أنا أكفيك أمر المبارزة إن شاء الله، وقال محمد بن يأنس أما أنا أكفيك فنون التفاسير إن شاء الله، وبعد راحة لمدة أيام خرج الإمام إلى الواصلية ومعه الشيوخ الأربعة من نفوسة، فأدوا ما طلب منهم ولم تقدر لهم الواصلية بشيء من المناظرة أو المبارزة في حمى الحرب، وبذلك أمكن للإمام الرستمي بوفد جبل نفوسة إيقاف خطر الواصلية لسنوات عدة38 .

وبهذا يمكن القول بأن الشيخ محمد بن يأنس كان له دوراً مهماً في هذه الرحلة بدافع المناظرة في علم التفاسير ومساندة الإمارة الرستمية، أما عن الأهمية فيجب التوقف عندها فهي لم تقتصر على وقف خطر فرقة الواصلية، بل أنها أظهرت قوة جبل نفوسة في ميدان العلم، وما بلغه رجاله في مختلف نواحي الحياة الفكرية والعسكرية السياسية.

7 – الشيخ أيوب بن عباس النفوسي:

واستكمالاً لحديثنا حول رحلة تاهرت للشيخ محمد بن يأنس، نقدم أيوب بن العباس وترجمته من حملة العلم في القرن الثاني للهجرة، كان حياً حتى مطلع القرن الثالث للهجري، من مشايخ تين دوزيغ 39 بجبل نفوسة، تلقى العلم على يد العلامة عاصم السدراتي أحد حملة العلم الخمس، عن أبو عبيدة بالبصرة، كان إضافة إلى مقامه في العلم متفرداً في الشجاعة وفنون الحرب معتزاً بذلك، ولاه الإمام عبد الوهاب على جبل نفوسة بعد وفاة السمح بن أبي الخطاب، وأوقف فتنة خلف بن السمح بمنطقة طرابلس بتوليه إمامة نفوسة دون السماح له من الإمام في تاهرت وكسب حب الناس لتواضعه وعدله وحسن سلوكه،40، وعندما طلب الإمام المدد من نفوسة أجابوا طلبه بأن أرسلوا إليه أربعة أنفار كان أيوب بن العباس من ضمنهم، الذي رد على الإمام بأنه يكفيه فنون القتال، وهكذا كانت رحلته إلى تاهرت بدافع مساعدة السلطة في تاهرت للقضاء على الواصلية، وكان

37 – علي يحيى معمر، الأباضية في موكب التاريخ، ص 180.

38 – أبي زكريا يحيى، كتاب سير الأئمة، ص 89 – الشماخي، السير ص 105.

39 – تين دوزيغ: على الأرجح أن تكون قرية تينزغت أحدى قرى منطقة الحرابة حالياً.

40 – المصدر نفسه، ص 71.

العباس أحد (أبطالها) .

ويقدم لنا أبي زكريا في كتابه سير الأئمة تفاصيل عن وصول أبن العباس إلى تاهرت، ففي مقابلته الأولى للإمام طلب منه فرس بدل فرسه وذلك أن فرسه أتعبه السفر، فرد عليه الإمام أن يدخل دار الداؤب ويأخذ الفرس المعجب بها ولكن لم يعجبه منها شي، وأخيراً عاد إلى فرسه وقال البركة في البرذون41، وينقل لنا مشهد مبارزة أيوب بن العباس الواصلية فيقول: "فأخذ أيوب بن العباس فأراد ركوبه حتى يؤماه الفريقان، فتجاهل في ركوبه فضحك منه عامة الفريقين وازدرته أعينهم، فقال لهم ابن الفتى الشجاع هيهات الآن جاء من يقتل أبي أو لا ترى فرسه حين ركبه كيف أدلى ولا يفعل الفرس ذلك إلا مع الفارس الحاذق "42، وبالفعل ما هي إلا برهة حتى حمل أيوب على خصمه فضربه فقتله، وبدون الغوص في تفاصيل المعركة فإنه كفى فنون القتال وأرهب الواصلية وركنوا إلى السلم تحت جناح الدولة الرستمية، وهذا ما أكده أبن خلدون بقوله: " ولي عبد الوهاب أبنه ميموناً وكان رأس الأباضية والصفرية والواصلية، .... وكان أتباعه من الواصلية وحدهم ثلاثين ألفاً من ظواعن ساكنين بالخيام43، يتضح لنا مما سبق إن دافع الرحلة كان لغرض دعم نفوسة للإمامة في تاهرت ضد فتنة الواصلية، وإظهار قوة جبل نفوسة العقائدية والعسكرية، أما عن أهمية تلك الرحلة، فيمكن القول أنها حققت مبتغاها في مناصرة مركز السلطة، وأظهرت تفوقاً في الميدان العلمي والعسكري.

8 – الشيخ علي بن يخلف التيمجاري النفوسي (القرن السادس الهجري):

علي بن يخلف التيمجاري من جبل نفوسة نسباً والدرجيني موطناً، عده أبي العباس أحمد الدرجيني من أعلام درجين في كتابه طبقات المشايخ، وعده الشماخي في كتابه السير من علماء ليبيا، كان من كبار التجار إلى بلاد السودان الغربي وصل إلى مالي وغانا، وهو السبب في اعتناق ملك مالي للإسلام سنة **575هـ / 1179م**، وذلك عندما طلب منه ملك مالي أن يدعو ربه لينزل من السماء المطر بعد أن أصابهم قحط شديد فصلى صلاة الاستسقاء، فسقطت الأمطار وتغيرت الأحوال[44].

ذهب الشيخ أبو الحسن علي بن يخلف النفوسي، الذي يعود في نسبه إلى قرية تيمجار في جبل نفوسة قبل انتقال أسرته إلى بلاد الجريد، رحلته إلى بلاد السودان كان دافعها الرئيس التجارة ونشر الإسلام والعلم، عرفوه

41 – البرذون: الدابة قال ألكسائي: الأنثى من (البرادين) برذونة وبهذا، يعني إن البركة في حصانه الذي يدب من السفر، – محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح معجم باب الباء (بيروت: دار القران الكريم طبعة خاصة، 1972)، ص.47.

42 – – أبي زكريا، سير أئمة نفوسة، ص 71

43 – ابن خلدون، العبر مج 6 ص 144.

44 – محمد بن موسى بابا عمي وآخرون، معجم أعلام الأباضية ج2، ص 295–

سكان مدينة مالي بطيبة خلقه وحسن معاملته وأمانته وعلمه الفائض، وقد سمع بتقواه سلطان مالي، وكانت مالي تلك الفترة مقاطعة ضمن نطاق دولة غانا الوثنية في القرن السادس الهجري، وما أن اتضح لهذا السلطان صدق وأمانة هذا الشيخ حتى قربه إليه يشاوره في الكثير من الأمور الدينية، وبعد حادثة صلاة الاستسقاء السالفة الذكر أسلم مع بعض وزرائه وحسن إسلامه[45].

هكذا نلحظ أن التجار من جبل نفوسة وصلوا إلى مدن السودان الغربي لشراء السلع، فعلى الرغم من مخاطر الطريق وبعد المسافة والمفازات، فأنهم استطاعوا أن يحققوا دوافع رحلاتهم، وفي هذا يقدم ابن خلدون نصاً مهماً في التجارة مع بلاد السودان فيقول: " إن نقل السلع من البلد البعيدة المسافة أو شدة الخطر في الطرقات يكون أكثر فائدة للتجار، وأعظم أرباحاً، ولهذا نجد التجار الذين يولعون بالدخول إلى بلاد السودان أرفه الناس وأكثرهم أموالاً لبعد طريقهم ومشقته، واعتراض المفازة الصعبة المخطرة بالخوف والعطش"[46] .

وبذلك يمكن القول إن تجارة نفوسة مع بلاد السودان[47] أسهمت في نشر الإسلام في بلاد غانا وما جاورها، وما الشيخ التيمجاري إلا أحد التجار الذي نشر الإسلام والعقيدة الإسلامية.

فمن خلال هذا العرض لرحلة أحد أعلام نفوسة الشيخ علي بن يخلف التيمجاري نخلص إلى أن دافع الرحلة كان سببه التجارة مقروناً بنشر تعاليم الإسلام وعقيدته، وأن هذا الدافع الأخير حقق من الأهمية، بحيث أصبحت مالي تأخذ بالإسلام وعقيدته، لم تقتصر أهمية تلك الرحلة على الشيخ علي بن يخلف بل أن جبل نفوسة برمته يعود له الفضل في نقل الثقافة الإسلامية إلى وراء الصحراء.

9 – تنقلات الشيخ إسماعيل بن موسى الجيطالي النفوسي (القرن السابع والثامن الهجريين).

ولد بجبل نفوسة ونشأ بمدينة جيطال48 ، أخذ علمه عن أبي موسى عيسى بن عيسى الطرميسي صحبة عامر الشماخي، صاحب كتاب الإيضاح في الفقه، اشتهر بحفظه، وكان عاملاً محافظاً شديداً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الأمر الذي دفع الكثير من حساده إلى تدبير المكائد ضده، فصرف جانب من حياته في

45 – الهادي المبروك الدالي، العلاقات بين مملكو مالي وأهم المراكز بالشمال الإفريقي، (طرابلس: مركز دراسات وأبحاث شؤون الصحراء، ط1، 1991)، ص 179.

46 – ابن خلدون، المقدمة (بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1968)، ص 706-707.

47 – يقصد ببلاد السودان في العصر الإسلامي كل المناطق الواقعة جنوب الصحراء، وكان لتجار جبل نفوسة السبق في الوصول إلى مدنه ونشر الإسلام منذ القرن الثالث الهجري، – حول تفاصيل حدود بلاد السودان في العصر الوسيط ينظر: علي حامد الطيف المراكز التجارية الليبية وعلاقتها مع ممالك السودان الأوسط وأثرها على الحياة الاجتماعية، (طرابلس: منشورات جمعية الدعوة الإسلامية1،2003)، ص22 وما بعدها.

48 – جيطال: بلدة من بلدات مجال الرجيبات حالياً.

مقاومتهم.

أما عن تنقلاته (رحلاته) فإنها تختلف عن غيرها بكونها تقع بين مدينتي طرابلس وجربه، لكنه كان يحمل صدق وأمانة للعقيدة الإسلامية ولا يخاف في ذلك لومه لائم، وهذا ما دفع بمناويه إلى لصق المكائد به مستغلين صدقه وأمره بالمعروف والنهي عن المنكر49 ،ودوافع هذه الرحلة لم يكن مخطط لها عند الشيخ الجيطالي لكنها تكمن في قوة إيمانه، وهذا ما نخلص إليه في الاطلاع على خفايا تلك التنقلات، اشتغل الشيخ الجيطالي بالتدريس تسع سنوات متتالية في مدرسة أبوزيد المزغورتي، والتقى فيها بصديق الدراسة العلامة أبي عزيز، ثم انتقل إلى فرسطاء فقام فيها بالتدريس تسع سنوات أخر، كان خلالها لا يتوقف عن دروس الوعظ والإرشاد ولا يقف عن تأكيد الأمر بالمعروف، وهذه مسألة ينبغي التوقف عندها، فهذا المبدأ الذي اطلع به الجيطالي ومُيِّز به عن شيوخ عصره جعله عرضة لمكائد الكثير وأودعوه السجن في زيارته لمدينة طرابلس في أحد المرات بغرض التجارة، وهكذا كانت جرأة هذا الشيخ في قول الحق أحد الدوافع التي كانت سبباً في غشاوة حياته، ففي أثناء تواجده في مدينة طرابلس كانت شهرته بلغت الأفاق فا وعزوا إلى الإمام لتكوين مجلس علمي لمناظرته، لكنه تغلب عليهم وأفحمهم، بل تحداهم وقال لهم هل عندكم من علم، فازدادوا عليه غيظاً وحمقاً، وظلوا يسعون للكيد به ولم يزالوا بالأمير حتى سلب ماله وأودعه السجن، ومكث فيه مدة حتى أطلق صراحة بواسطة أبن مكي والي قابس50، ويقول الشماخي إن أبناء الشيخ أبي زكريا فصيل بن أبي مسور هم الذين عملوا على إطلاق سراحه من السجن وتحملوا معه مالاً في سبيل الله51 ، ومن بعدها انتقل إلى جزيرة جربه وبقي فيها إلى أن وفاه الأجل سنة **750هـ/1349م** .

بعد هذا المرور عن محطات الشيخ إسماعيل الجيطالي، نجد أن دوافع تنقلاته تجمع بين شغل التجارة والعلم، ولم تكن معدة الأهداف، لكن ما يتصف به من خصال غرستها فيه تمسكه بما جاء في كتاب الله، كانت سبباً في وضع الأشواك في طريقه، وبذلك فإن دوافعه في الانتقال تحققت بتنقلاته في جبل نفوسة، فشغل التدريس في فرسطاء، ومدرسة أبو زيد المزغورتي، واجتمع في مجالس العلماء بالجبل، وفي طرابلس وصل إلى مجلس العلماء للأمير بن مكي، ونتيجة لجرأته انتهاء إلى السجن وسلبت أمواله، وبالرغم من أن دوافع تنقلاته وأهميتها لم تكن معلنة كما مر بنا في رحلات أخرى، فإنها عكست صراع بين قول الحق وتأكيد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

49 – محمد بن موسى بابا عمي وآخرون، معجم أعلام الإباضية ج2، ص 57.

50 – علي يحيى معمر، الأباضية في موكب التاريخ، ص 257.

51 – أحمد سعيد الشماخي، السير ج2، ص 118.

خاتمة ونتائج البحث:

في دراستنا لنماذج من رحلات العلم لشيوخ نفوسة (الدوافع والأهمية) حتى القرن الثامن الهجري نخلص إلى النتائج الآتية:

1 – قام البحث على فرضية دور شيوخ جيل نفوسة في تصدير الإنتاج العلمي وتحقيق الأسبقية في ميدان العلم مع المجالات المجاورة، وهذا ما حققته الدراسة.

2 – لقد تعددت دوافع الرحلات العلمية فمنها من أجل العلم وحضور حلقات الدرس وملازمة شيوخ العلم، وضرب أبن امغطير مثلاً في ذلك، ومنها ما كانت رحلاته تجمع بين العلم ودافع الوصول إلى السلطة، وهذا ما تحقق للشيخ سعد بن يونس النفوسي ، وهنالك من الرحلات من جمعت بين التجارة والعلم، وقد كانت رحلة الشيخ علي بن يخلف التيمجاري في مقدمة تلك الرحلات.

3 – أثبتت رحلات العلم لشيوخ نفوسة أهمية في إقامة الكثير من المراكز العلمية سواء في الجبل أو خارجه، وقدمت دعم للسلطة المركزية في تاهرت.

4 – أضافت رحلات العلم للحياة الفكرية في جبل نفوسة تقديم الجديد في مختلف العلوم الدينية والعلمية.

5 – أثبتت الدراسة أن شيوخ نفوسة كان لهم دوراً ريادياً في تقديم الإسلام ونشر تعاليمه في المجالات المجاورة.

6 – بفضل رحلات العلم أضيفت العديد من المؤلفات الدينية وانتشرت في مختلف مدن وقرى جبل نفوسة.

7– كان لرحلات العلم أهمية في تقدم الحياة الفكرية في مختلف مدن وقرى جبل نفوسة، وكانت المسائل الدينية تدار من لألوت إلى تغرمين، فأوجدت مجتمع يأخذ بالإسلام ويبحث في تعاليمه.

المصادر والمراجع:

1- أبن الأثير، الكامل في التاريخ ج**4**، (بيروت: دار الكتاب العربي) د.و.ن.

2- ابن خلدون، المقدمة (بيروت: دار الكتاب اللبناني) **1968**.

3- أبي زكريا يحيى بن أبي بكر، كتاب سير الأئمة وأخبارهم، (الجزائر: المكتبة الوطنية)، **1979**.

4- أبي عبيدة البكري، المغرب في ذكر إفريقية والمغرب (القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، د.ط.ن).

5- أحمد الدر جيني، طبقات المشايخ بالمغرب، تحقيق إبراهيم طلاي (قسنطينة: مطبعة البعث، د.ت).

6- أحمد مختار عمر، النشاط الثقافي في ليبيا، (طرابلس: منشورات الجامعة الليبية، ط**1**،) **1971**.

7- الجعيبري فرحات، علاقة عمان بشمال إفريقيا، (سلطنة عمان: المط العالمية، ن.ط،) **1991**.

8- سليمان الباروني، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، (لندن: دار الحكمة، ط**1**،) **2005**.

9- صالح مصطفى مفتاح، ليبيا منذ الفتح العربي حتى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر، (بنغازي: منشورات

جامعة قار يونس، ط2)، **1994**.

10- عبد الرحمن بن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر مج**6**، ، (بيروت: دار الكنب العلمية ط**1**)، **1992**

11- علي حامد الطيف، المراكز التجارية الليبية وعلاقتها مع ممالك السودان الأوسط وأثرها على الحياة الاجتماعية، (طرابلس: منشورات جمعية الدعوة الإسلامية**1**) ،**2003**.

12- علي يحيى معمر، الأباضية في موكب التاريخ، (سلطنة عمان: مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، ط**3**)،**2008** .

13- لفينسكي، تسمية جبل نفوسة وقراهم، ترجمة عبدالله زارو، (مؤسسة تأولت الثقافية، ط **2**) **2013**.

14- محمد بن موسى بابا عمي وآخرون، معجم أعلام الإباضية ج**2**، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط**2**)، **2000**.

15- محمود كوردي، الحياة العلمية في جبل نفوسة، (بنغازي: دار الكتب الوطنية، ط**1**)، **2008**.

16- مسعود مزهودي، جبل نفوسة منم انتشار الإسلام حتى هجرة بني هلال إلى بلاد المغرب، (مؤسسة تأولت، ط**1**)، **2005**.

17- الهادي المبروك الدالي، العلاقات بين مملكو مالي وأهم المراكز بالشمال الإفريقي، (طرابلس: – مركز دراسات وأبحاث شؤون الصحراء، ط**1**)، **1991**.